اسم الدرس : حول سورة الفرقان

تصنيف الدرس : مجلس تفسير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أنا أحمد عبد المنعم، مدرس في كلية الطب لمادة (Clinical Pharmacology)

حسنًا، اليوم بإذن الله –عز وجل– من المفترض أنكم تأخذون سورة الفرقان.

سورة الفرقان هي مجموعة من الآيات، نحن لدينا أكثر من طريقة لمعايشة السور، هناك التفسير التحليلي وهو أن أتناول الآيات آية آية، وأحللها، لأعرف معاني كلماتها الغريبة، ومعانيها مجتمعة، وأذاكرها، وأفهمها، وأذاكر الآية التي تليها، وهكذا... فهذه الطريقة المناسبة دومًا لأي أحد يريد أن يبدأ فهم كلام ربنا سبحانه وتعالى، ولكنها لا تكوّن ذلك الفهم العميق.

مثلًا أريد معرفة معنى آية في سورة الإخلاص، فأتساءل ما معنى { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} (الاخلاص: ١)؟ وما معنى الصمد؟ وماذا يعني { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَد} (الاخلاص: ٣)؟ فأفهم آية آية، وبعد ذلك أقرأ السورة كلها مجتمعة.

هناك تفسير آخر يسمونه "التفسير الموضوعي"، فبدل أن أتناول الآيات آية آية، أحاول أن أرى الموضوع العام للسورة، أو المواضيع المتعددة في السورة، بحيث أنظر للسورة كوحدة متكاملة؛ لأنَّ ربنا –سبحانه وتعالى– يقول لنا إنَّ القرآن تنزل على هيئة سور، وكل واحدة اسمها سورة.

علماء اللغة قالوا من أين أتت لفظة السورة؟ هل هي من السُّور؟ أي سور حديقة مثلًا وفي داخلها أزهار وجنات وهكذا؟

فهل المقصد من لفظة [سورة] أنّ هناك ما يحيط بالآيات؟ وكل آية عبارة عن زهرة، أو شجرة، أو ثمرة، داخل السورة الواحدة؟ فبالتالي يوجد رابط بين كل هذه الآيات؟

واستمر العلماء في الاجتهاد وفكروا أنّه طالما أن اسم الآيات مجتمعة يسمى بالسورة من السُّور أو الجدار الذي يربط بين محتوياته؛ كسورة الفرقان، وسورة الشعراء، وكلّ السور، فما الذي جعل هذه الآيات تأتي تباعًا وما وجه الترابط بينهن؟

لأن السور في غالب الأحيان لا تتنزل جملة واحدة بالضرورة؛ فهناك سور في القرآن نزلت جملة واحدة كذلك يسميها العلماء، وكلمة جملة هذه جاءت من قبل في سورة الفرقان، في الآية:

{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً} (الفرقان: ٣٢)

فلماذا لم ينزل القرآن دفعة واحدة كاملا؟

فهناك سورة كانت تنزل جملة واحدة، على خلاف بين العلماء كسورة الأنعام مثلا، أو بعض السور أنزلت جملة واحدة، ومعظم السور كان تنزل مجموعة من الآيات في حدث معين، وتنزل مجموعة من الآيات في حدث آخر، وبعد ذلك تنزل مجموعة من الآيات في حدث ثالث، فالنبي –صلى الله عليه وسلم– يقول: ضعوا هذه هنا، فمثلا الآيات تسير بصورة معينة في سورة البقرة، وبعد ذلك تنزل آيات بعدها، فنجد آيات نزلت أول سورة البقرة مثلا، نزلت في أول بناء المجتمع المدني، في أول المدينة، وبعدها بأربع سنوات نزلت آية، أو مجموعة من الآيات، النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول: ضعوا هذه الآيات هنا.

إذًا هناك مقصد من أن توضع هذه الآيات وراء تلك بالرغم من وجود سنوات تفصل بين نزولهن.

إذًا عندما يأتي العلماء وينظرون للسورة كوحدة واحدة، ينظرون لها إجمالاً، وهذا ما يسمونه "التفسير الموضوعي".

نبدأ ننظر سويا إلى سورة الفرقان، قلنا بدايةً أنَّ الجلسة ستكون دسمة بعض الشيء.

أنا هدفي أن نرتقي بفهمنا وعلاقتنا لكتاب ربنا –سبحانه وتعالى– ليس مجرد أن نعرف معنى الآية، أو معنى كلمة في القرآن، أو تفسير آية، هذا شيء رائع جدا، وخير من الدنيا وما فيها، لكن نريد أن نصل إلى مرحلة أن القرآن غيّرنا، يغير مفاهيمنا و يغير نظرتنا عن الحياة.

نحن للأسف وُلِدنا ونحن نُدفع دفعًا في اتجاه معين، تُذاكر وتسعى هنا وهنا، ولكن الدين لا مكان له في حياتك.

سبق وقلت لكم أني –بفضل الله– مدرس في كلية الطب، فلا أقول: اتركوا الدنيا!

ولكن الناس حين تحدثهم في الدين يسألونك عن الدنيا، أنا لم أقل شيئًا عن الدنيا.

كمثال: عندما أتكلم مع رجل متزوج وأقول له: اعتنِ بوالدتك، يقول لك: وأترك زوجتي؟

أنا لم أقل اترك زوجتك، ليس معنى أن أطلب منك شيئًا أن تترك مكانه شيئًا آخر.

فإذا نظرت إلى الحيز الذي أخذه الدين من حياتنا من وقت ولادتنا إلى وقت التخرج من الجامعة! ... بمعنى أنه إن وُجِد شخص لم يرتبط بمسجد أو لا يحضر دروس ولا سلاسل دينية، من أين سيأتي بالدين؟! إلى أن يتخرج من أين سيأتي بالدين؟!

أنا أقابل شبابا في السنة الرابعة للجامعة، وعندنا في السنة الخامسة، ولا يعلم أحكاما معينة في الصلاة، كأحكام القصر مثلا، وكيفية قصر الصلاة، فأنت تستعجب، الصلاة! أجل، شيء منطقي جدا نتيجة لما نعيشه ! ؛ فمن أين له أن يأتي بالمعلومات؟!

هو كان لديه في الصغر جدته، تجلس معه وتقول له كلمتين، مرة أخرى خالته، مرة ثالثة رأى منشورا مفيدا... قال له: من الممكن أن تفعل كذا، هذه هي كل المعلومات الدينية التي لديه!، لكن هو لم يتلقَ تعليما دينيا أكاديميا معينا، وخاصة أنه ليس أزهريا، فمن أين له إذًا، من أين يتلقى؟!

هذه هي المشكلة، ليست فقط المشكلة في المعلومات التي عندنا عن الدين، بل في التصورات، تصوراتك عن الحياة الدنيا، هذه نأتي بها من أين؟ تصوراتنا عن الحياة الآخرة، نحن نأتي بها من أين؟

تصوراتنا عن علاقاتنا ببعض، أو بالشخص المختلف معه عقديا، هذه التصورات من المفترض أن نأتي بها من كتاب الله –سبحانه وتعالى– فنحن نريد أن نرتقي بعلاقتنا بالقرآن، من أنه مجرد معرفة آية منه لتغيير تصوراتي عن الحياة، فأنظر للحياة من خلال القرآن، وهذا هو ما غيَّر الصحابة، كانوا يعيشون حياة كل ما أمامهم فيها شمس، وجمل، وأرض، وصحراء، وفي الجاهلية؛ شرب خمر، ووأد بنات، البنت لا تعجبه فيدفنها وهي حيَّة، هذه هي حياته كلها، هذا هو آخرها، وذاك هو نطاقها، ليس لديهم إنترنت ، ليس لديهم أية تصورات أخرى، هذا آخر الحياة لديهم، فجأة نزل القرآن يقول له: هذا الكون له إله، وهذه الشمس تغرب بإذن الملك –سبحانه وتعالى–، وأنتم عبيد لله –سبحانه وتعالى–، وأنَّ هذه الحياة ستنتهي وهناك حياة أخرى بعد الموت، تخيل كمية التصورات القديمة التي ظلت تنهدم، وتُبنى مكانها تصورات جديدة، وهذا هو القرآن المكي.

أيهما أكثر القرآن المكي أم المدني؟

ما رأيكم أن تبحثوا في هذه المسألة، وتعتبر من الواجبات؟

وماذا يعني القرآن المكي؟ هل هو الذي نزل بمكة؟

هناك من يقول ذلك، وآخرون يقولون لا، ليس بالضرورة، فأحيانا هناك سورة تنزل في مكة ولكن بعد هجرة النبي – صلى الله عليه وسلم– فهو هاجر للمدينة ورجع ثانية لمكة، وأثناء فتح مكة نزلت عليه آيات، وهذه جميعها يقولون عليها: مدني، لهذا يقولون: ما بعد الهجرة نعتبره مدني، وما قبل الهجرة مكي.

القرآن المكي أكثر بكثير من المدني، تقريبا ثُلثي القرآن مكي، والثلث الآخر مدني، فالقرآن المكي غيَّر تصورات الصحابة تمامًا، كل ذلك قبل أن تبدأ التشريعات، أُمُنا عائشة –رضي الله عنها– تقول: "أول ما نزل من القرآن المفصل؛ فيه ذِكر الجنة والنار."[1]

المفصل؛ الآيات بها فواصل كثيرة، في حديث للنبي –صلى الله عليه وسلم– يقول "فُضِّلتُ بالمفصل" [2]

هل يعلم أحدكم من أين يبدأ المفصل؟

من سورة (ق) أو (الحجرات) هناك عدة أقوال:

ق، الحجرات، مُحمد، وأشهرها: من (ق) لآخر المصحف؛ قالوا لكثرة الفواصل بين الآيات، أو للتفصيل في الدار الآخرة، وأمنا عائشة قالت: "أول ما نزل من القرآن المفصل، فيه ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس..." بدأت تعقل، وترجع وتفكر لماذا جئنا هنا؟! وما قيمة هذه الحياة؟ وماذا بعد الموت؟ "...حتى إذا ثاب الناس، نزل لا تشربوا الخمر."[3] فالأحكام تأخرت، "...ولو كان أول ما نزل من القرآن لا تشربوا الخمر، لقالوا: نشرب." لن نطيعك.

---

[1] [عن عائشة أم المؤمنين:] إنِّي عِنْدَ عائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها، إذْ جاءَها عِراقِيٌّ، فَقالَ: أيُّ الكَفَنِ خَيْرٌ؟ قالَتْ: ويْحَكَ، وما يَضُرُّكَ؟ قالَ: يا أُمَّ المُؤْمِنِينَ، أرِينِي مُصْحَفَكِ؟ قالَتْ: لِمَ؟ قالَ: لَعَلِّي أُؤَلِّفُ القُرْآنَ عليه، فإنَّه يُقْرَأُ غيرَ مُؤَلَّفٍ، قالَتْ: وما يَضُرُّكَ أيَّهُ قَرَأْتَ قَبْلُ؟ إنَّما نَزَلَ أوَّلَ ما نَزَلَ منه سُورَةٌ مِنَ المُفَصَّلِ، فِيها ذِكْرُ الجَنَّةِ والنَّارِ، حتَّى إذا ثابَ النَّاسُ إلى الإسْلامِ نَزَلَ الحَلالُ والحَرامُ، ولو نَزَلَ أوَّلَ شيءٍ: لا تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقالوا: لا نَدَعُ الخَمْرَ أبَدًا، ولو نَزَلَ: لا تَزْنُوا، لَقالوا: لا نَدَعُ الزِّنا أبَدًا، لقَدْ نَزَلَ بمَكَّةَ على مُحَمَّدٍ ﷺ وإنِّي لَجارِيَةٌ ألْعَبُ: {بَلِ السّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ والسّاعَةُ أدْهى وأمَرُّ} وما نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ والنِّساءِ إلّا وأنا عِنْدَهُ، قالَ: فأخْرَجَتْ له المُصْحَفَ، فأمْلَتْ عليه آيَ السُّوَرِ.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٤٩٩٣ • [صحيح]

[2] [عن واثلة بن الأسقع الليثي أبي فسيلة:] أُعطِيتُ مكانَ التَّوراةِ السَّبعَ الطِّوالَ، وأُعطِيتُ مكانَ الزَّبورِ المئِينَ، وأُعطِيتُ مكانَ الإنجيلِ المثانيَ، وفُضِّلْتُ بالمفَصَّلِ
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الجامع ١٠٥٩ • صحيح

[3] سبق تخريجه

فمن المفترض أنكم تأخذون سورة مكية تغيِّر تصوراتكم، ستجدون الأحكام التشريعية بمعنى: افعل ولا تفعل قليلة في القرآن المكي، فيه بعض الأحكام كأقيموا الصلاة، هناك أحكام ولكن قليلة، لماذا؟

لأن الأصل الآن في القرآن المكي تغيير تصوراتك عن الحياة، أنت تفهم لماذا جئنا إلى هنا؟ وماذا سيحدث لنا؟ وما هو هدفي كمسلم؟ وما هي نظرتي للعالم؟ عندما أخرج للعالم ما هي نظرتي له؟ ما أصل علاقات الناس ببعضها؟

حسنًا، نحن اليوم سنأخذ نظرة عامة عن سورة الفرقان، هل يعلم أحدكم اسم السورة التي قبلها؟ سورة النور، والسورة التي تليها؟ سورة الشعراء.

أريدك وأنت تقرأ وردك من القرآن أن تتخيل ترتيب المصحف، متخيلًا هكذا من سورة [البقرة، وآل عمران] بعد ذلك لديكم [النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف] بعدها هناك سورتان مدنيتان متتاليتان [الأنفال والتوبة] وبعد ذلك يبدأ شوط طويل نسميه [الر] من بداية [يونس] إلى [الحجر] نستمر حتى [الأنبياء، الحج، المؤمنون، النور، الفرقان، الشعراء] الشعراء تبدأ ب {طسم} يسمونها: الطواسين [طسم، وطس]. {طسم} الشعراء، والقصص، و{طس} النمل، أهل العلم يقولون إنَّ هناك ترابطًا بين السور، والبعض يقولون لا، يقولون: ترتيب السور ليس بأمر من النبي -صلى الله عليه وسلم- وكثير منهم قال: لا هو بأمر منه، لكن دعونا نفكر في هذه الثلاث، النور؛ التي فيها آية النور {ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌ} (النور: ٣٥) إذا أردنا نورًا في حياتنا، وعندما تكون الدنيا مظلمة، لم تعد ترى، إذا دخلت مكانا وهو مظلم تماما، لن تعرف أن المكان به مقاعد، ولا أنَّ هناك أناسا جالسون، أو ان هناك مكيّف، فلن أستطيع أن أتعامل، سأتعامل بعشوائية، وعندما يأتي النور سترى الأشياء على حقيقتها، عندما يأتي القرآن في حياتك، يجعلك ترى الأشياء على حقيقتها؛ بمعنى أن هناك أناسًا يعظمون أمورا كبيرة جدا، يرونها عظيمة، في حين أن القرآن يصغر هذه الأمور!

شخص آخر لديه أمور بسيطة جدا في حياته، أمور عادية تماما، هو يتعامل معها بمبدأ: "إذا جاءت فلابأس" عندما يدخل القرآن حياته، يكتشف أن هذا الأمر كبير، هذا هو النور.

ما الفرق بين النور والفرقان؟

النور: يعطينا الأحجام الطبيعية للأشياء، ونرى الشيء على حقيقته، الفرقان: يأتي من [فرق] يوجد حاجز هنا، الذي هنا ينفصل ويتمايز تماما عن الذي هناك، هناك حق في جانب، وهناك باطل، فلِمَ إذًا نحتاج الفرقان؟

لأنه من الطبيعي أن يسعى عموم الناس لتداخل الاثنين معًا، بمعنى أنَّ أهل الباطل يسعون دومًا لإزالة هذا الحاجز؛ لذلك قال بعض أهل العلم: نادرا أن ترى في العالم باطلا محضا، بمعنى لا يوجد باطل كامل، ستجد معه بعضا من الخير، أي أفكار باطلة ستجد معها جزءًا من الخير، فمن يأتي ليعرضها عليك يعرض جزء الخير منها فقط؛ لأجل أن تقبلها، ولا يعرض لك معها جزء الباطل، فالقرآن نزل ليفصلهم عن بعضهم ويفرق بينهما، أحيانا يحدث خلط بين العيب، والحرام، يقولون هذا عيب، وذاك ليس كذلك، هناك تقاليد معينة تربينا عليها، وفي الشرع هناك أمور حلال، وأمور أخرى حرام، ممكن أمر عيب، ونجده حراما في الشرع، وممكن أمر عيب عند الناس ولا يكون حراما في الشرع، وممكن أمر معين تقوم به ليس عيبا عند الناس، وتجده حراما، وتجد أمرا ليس بعيب عند الناس، وحلال في الشرع كذلك، فعندما تكون التسمية عيب، وليس بعيب، تجد الأمور اختلطت ببعضها، لا تستطيع لها فصلا، فمثلا: تجد أحدهم يتحدث مع إحداهن، وطوال اليوم في حديث، ويتسايرون فيما بينهما، ويُقال لك هذا ليس بعيب، أنا أقف أمام الناس، شخص آخر يخرج مع خطيبته، هنا وهناك وحدهما، وحين تحدثه يقول لك: هذه خطيبتي، هل لأحد عندي شيء؟! هذا ليس عيبًا.

هنا التعامل بالعيب، وليس بالحلال والحرام، فأنت إن قلت له: العيب مختلف عن الحرام، فيقول لك: أيعني ذلك أنَّ كل العيب حرام ؟! أنا لم أقل ذلك!!!

يأتي هنا دور القرآن أن يفصلهم عن بعضهم البعض، وهذه هي أهم نقطة في سورة الفرقان، من المعاني الأساسية في سورة الفرقان: أنَّ هناك [فرق] {وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا} (الفرقان: ٥٣) فرق بين المياه العذبة، والمياه المالحة، هناك فرق، الذي يقرأ في تاريخ العرب قبل بعثة النبي –صلى الله عليه وسلم– يعتقد أن حياتهم كلها كانت خاطئة.

لا لم تكن كذلك، العرب قبل البعثة من ناحية الأخلاق والشهامة فكانت عالية جدا، حتى أن من تكلموا في التاريخ قالوا إن بعثة النبي –صلى الله عليه وسلم– كانت في العرب لأنَّ أخلاقهم هذه لم تكن موجودة في أي مجتمع آخر غيرهم، من الصدق، والشهامة، ووصل علو أخلاقهم أن الرجل منهم كان

يُقتل ولا يكذب، ولو قال أحدهم لآخر: أنت في ذمتي، لا يخون هذه الأمانة أبدا، وكانوا يتعاملون تعاملًا بأخلاق عالية جدا، وكان عندهم جانب آخر، كعبادة الأصنام، هناك الكثير من الشهوات، ضائع في الدنيا، هذه هي الجاهلية، عندهم الأمور متشابكة ومتداخلة... مثلًا حديث هرقل في البخاري[٤] حين سأل أبا سفيان، وكان أبو سفيان ما زال على الكفر، سأله أسئلة معينة، لم يكذب فيه

[٤] [عن أبي سفيان بن حرب:] أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ: أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِن قُرَيْشٍ، وكَانُوا تُجَّارًا بالشَّأْمِ في المُدَّةِ الَّتِي كانَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وكُفَّارَ قُرَيْشٍ، فأتَوْهُ وهُمْ بإيلِيَاءَ، فَدَعَاهُمْ في مَجْلِسِهِ، وحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ ودَعَا بتَرْجُمَانِهِ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بهذا الرَّجُلِ الذي يَزْعُمُ أنَّه نَبِيٌّ؟ فَقَالَ أبو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا، فَقَالَ: أَدْنُوهُ مِنِّي، وقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لهمْ إنِّي سَائِلٌ هذا عن هذا الرَّجُلِ، فإنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ. فَوَاللَّهِ لَوْلَا الحَيَاءُ مِن أنْ يَأْثُرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عنْه. ثُمَّ كانَ أَوَّلَ ما سَأَلَنِي عنْه أنْ قَالَ: كيفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟ قُلْتُ: هو فِينَا ذُو نَسَبٍ، قَالَ: فَهلْ قَالَ هذا القَوْلَ مِنكُم أحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَهلْ كانَ مِن آبَائِهِ مِن مَلِكٍ؟ قُلْتُ: لا قَالَ: فأشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ فَقُلْتُ بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ. قَالَ: أيَزِيدُونَ أمْ يَنْقُصُونَ؟ قُلْتُ: بَلْ يَزِيدُونَ. قَالَ: فَهلْ يَرْتَدُّ أحَدٌ منهمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَهلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بالكَذِبِ قَبْلَ أنْ يَقُولَ ما قَالَ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَهلْ يَغْدِرُ؟ قُلْتُ: لَا، ونَحْنُ منه في مُدَّةٍ لا نَدْرِي ما هو فَاعِلٌ فِيهَا، قَالَ: ولَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شيئًا غَيْرُ هذِهِ الكَلِمَةِ، قَالَ: فَهلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَكيفَ كانَ قِتَالُكُمْ إيَّاهُ؟ قُلْتُ: الحَرْبُ بيْنَنَا وبيْنَهُ سِجَالٌ، يَنَالُ مِنَّا ونَنَالُ منه. قَالَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يقولُ: اعْبُدُوا اللَّهَ وحْدَهُ ولَا تُشْرِكُوا به شيئًا، واتْرُكُوا ما يقولُ آبَاؤُكُمْ، ويَأْمُرُنَا بالصَّلَاةِ والزَّكَاةِ والصِّدْقِ والعَفَافِ والصِّلَةِ. فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ: قُلْ له: سَأَلْتُكَ عن نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أنَّه فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذلكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ في نَسَبِ قَوْمِهَا. وسَأَلْتُكَ هلْ قَالَ أحَدٌ مِنكُم هذا القَوْلَ، فَذَكَرْتَ أنْ لَا، فَقُلْتُ: لو كانَ أحَدٌ قَالَ هذا القَوْلَ قَبْلَهُ، لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتَسِي بقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ. وسَأَلْتُكَ هلْ كانَ مِن آبَائِهِ مِن مَلِكٍ، فَذَكَرْتَ أنْ لَا، قُلْتُ فلوْ كانَ مِن آبَائِهِ مِن مَلِكٍ، قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أبِيهِ، وسَأَلْتُكَ، هلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بالكَذِبِ قَبْلَ أنْ يَقُولَ ما قَالَ، فَذَكَرْتَ أنْ لَا، فقَدْ أعْرِفُ أنَّه لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الكَذِبَ على النَّاسِ ويَكْذِبَ على اللَّهِ. وسَأَلْتُكَ أشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أمْ ضُعَفَاؤُهُمْ، فَذَكَرْتَ أنَّ ضُعَفَاءَهُمُ اتَّبَعُوهُ، وهُمْ أتْبَاعُ الرُّسُلِ. وسَأَلْتُكَ أيَزِيدُونَ أمْ يَنْقُصُونَ، فَذَكَرْتَ أنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وكَذلكَ أمْرُ الإيمَانِ حتَّى يَتِمَّ. وسَأَلْتُكَ أيَرْتَدُّ أحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أنْ يَدْخُلَ فِيهِ، فَذَكَرْتَ أنْ لَا، وكَذلكَ الإيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ القُلُوبَ. وسَأَلْتُكَ هلْ يَغْدِرُ، فَذَكَرْتَ أنْ لَا، وكَذلكَ الرُّسُلُ لا تَغْدِرُ. وسَأَلْتُكَ بما يَأْمُرُكُمْ، فَذَكَرْتَ أنَّه يَأْمُرُكُمْ أنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ ولَا تُشْرِكُوا به شيئًا، ويَنْهَاكُمْ عن عِبَادَةِ الأوْثَانِ، ويَأْمُرُكُمْ بالصَّلَاةِ والصِّدْقِ والعَفَافِ، فإنْ كانَ ما تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وقدْ كُنْتُ أعْلَمُ أنَّه خَارِجٌ، لَمْ أكُنْ أظُنُّ أنَّه مِنكُمْ، فلوْ أنِّي أعْلَمُ أنِّي أخْلُصُ إلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، ولو كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عن قَدَمِهِ. ثُمَّ دَعَا بكِتَابِ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ الذي بَعَثَ به دِحْيَةُ إلى عَظِيمِ بُصْرَى، فَدَفَعَهُ إلى هِرَقْلَ، فَقَرَأَهُ فإذَا فيه بسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِن مُحَمَّدٍ عبدِ اللَّهِ ورَسولِهِ إلى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ: سَلَامٌ علَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، أمَّا بَعْدُ، فإنِّي أدْعُوكَ بدِعَايَةِ الإسْلَامِ، أسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فإنْ تَوَلَّيْتَ فإنَّ عَلَيْكَ إثْمَ الأرِيسِيِّينَ و{يَا أهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إلى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بيْنَنَا وبيْنَكُمْ أنْ لا نَعْبُدَ إلَّا اللَّهَ ولَا نُشْرِكَ به شيئًا ولَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أرْبَابًا مِن دُونِ اللَّهِ فإنْ تَوَلَّوْا فَقُولوا اشْهَدُوا بأنَّا مُسْلِمُونَ} قَالَ أبو سُفْيَانَ: فَلَمَّا قَالَ ما قَالَ، وفَرَغَ مِن قِرَاءَةِ الكِتَابِ، كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ وارْتَفَعَتِ الأصْوَاتُ وأُخْرِجْنَا، فَقُلْتُ لأصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا: لَقَدْ أمِرَ أمْرُ ابْنِ أبِي كَبْشَةَ، إنَّه يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الأصْفَرِ. فَما زِلْتُ مُوقِنًا أنَّه سَيَظْهَرُ حتَّى أدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الإسْلَامَ. وكانَ ابنُ النَّاطُورِ، صَاحِبُ إيلِيَاءَ وهِرَقْلَ، سُقُفًّا على نَصَارَى الشَّأْمِ يُحَدِّثُ أنَّ هِرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إيلِيَاءَ، أصْبَحَ يَوْمًا خَبِيثَ النَّفْسِ، فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ: قَدِ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ، قَالَ ابنُ النَّاطُورِ: وكانَ هِرَقْلُ حَزَّاءً يَنْظُرُ في النُّجُومِ، فَقَالَ لهمْ حِينَ سَأَلُوهُ: إنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ في النُّجُومِ مَلِكَ الخِتَانِ قدْ ظَهَرَ، فَمَن يَخْتَتِنُ مِن هذِهِ الأُمَّةِ؟ قالوا: ليسَ يَخْتَتِنُ إلَّا اليَهُودُ، فلا يُهِمَّنَّكَ شَأْنُهُمْ، واكْتُبْ إلى مَدَايِنِ مُلْكِكَ، فَيَقْتُلُوا مَن فيهم مِنَ اليَهُودِ. فَبيْنَمَا هُمْ علَى أمْرِهِمْ، أُتِيَ هِرَقْلُ برَجُلٍ أرْسَلَ به مَلِكُ غَسَّانَ يُخْبِرُ عن خَبَرِ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هِرَقْلُ قَالَ: اذْهَبُوا فَانْظُرُوا أمُخْتَتِنٌ هو أمْ لَا، فَنَظَرُوا إلَيْهِ، فَحَدَّثُوهُ أنَّه مُخْتَتِنٌ، وسَأَلَهُ عَنِ العَرَبِ، فَقَالَ: هُمْ يَخْتَتِنُونَ، فَقَالَ هِرَقْلُ: هذا مُلْكُ هذِهِ الأُمَّةِ قدْ ظَهَرَ. ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إلى صَاحِبٍ له بِرُومِيَةَ، وكانَ نَظِيرَهُ في العِلْمِ، وسَارَ هِرَقْلُ إلى حِمْصَ، فَلَمْ يَرِمْ حِمْصَ حتَّى أتَاهُ كِتَابٌ مِن صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ علَى خُرُوجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وأنَّهُ نَبِيٌّ، فأذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ في دَسْكَرَةٍ له بِحِمْصَ، ثُمَّ أمَرَ بأبْوَابِهَا فَغُلِّقَتْ، ثُمَّ اطَّلَعَ فَقَالَ: يا مَعْشَرَ الرُّومِ، هلْ لَكُمْ في الفَلَاحِ والرُّشْدِ، وأنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ، فَتُبَايِعُوا هذا النَّبِيَّ؟ فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الوَحْشِ إلى الأبْوَابِ، فَوَجَدُوهَا قدْ غُلِّقَتْ، فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ، وأَيِسَ مِنَ الإيمَانِ، قَالَ: رُدُّوهُمْ عَلَيَّ، وقَالَ: إنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفًا أخْتَبِرُ بها شِدَّتَكُمْ علَى دِينِكُمْ، فقَدْ رَأَيْتُ، فَسَجَدُوا له ورَضُوا عنْه، فَكانَ ذلكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ

البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٧ • [صحيح]

أبو سفيان بالرغم من أنه كافر في تلك اللحظة قال لا أستطيع الكذب، وزوجة أبي سفيان في البيعة حين أخذ عليها النبي –صلى الله عليه وسلم– ألَّا تزني، قالت: وهل تزني الحرة؟![٥] في الأصل، أي إنسانة حرة سواء كانت مسلمة، أو كافرة، من المفترض ألَّا تزني، هي تتعامل أنَّ هذه أخلاق لا علاقة لها بالدين، يتعاملون أنَّ هذه أخلاق ثابتة، فالمجتمع كان خليطا بين الأخلاق الحسنة والسيئة، حسنًا، فمن أين نعلم الحسن من السيئ؟ أي الصواب والخطأ، من أين سندركهما؟

وهذه إحدى الإشكاليات التي يواجهها الإلحاد، تجده يقول: ليس هناك إله، حسنًا، سأسير معك للنهاية، ليس هناك إله؛ أي أن هذه الدنيا تسير هكذا متداخلة، وكلنا حثالات كيميائية متطورون، وليس هناك كتاب، أو وحي! إذًا كيف سنعرف الصواب من الخطأ؟!

إذا اتفقنا مثلا على أن نقتلك، أو العالم اتفق على أنَّ أي طفل معاق يُقتل أفضل، وأي شخص تعدَّى سنَّ الخمسين نتخلص منه، ونوفر اقتصاديا، هل هذا أمر طبيعي؟!

يقول لك: لا، هذا ليس طبيعيا، ليس صوابا، إذًا من أين أتيت بتعبير ومفهوم ((ليس صوابا)) هو ليس لديه معيار للصواب والخطأ، فأين له بهما؟!...هل ما نتفق أنه صواب، يكون صوابا؟ وما لا نتفق عليه، يكون خطأ؟! واضح ؟

من أين لنا بمفهوم الصواب، والخطأ، حين يُقال لك: هذا خطأ، لماذا خطأ؟ ومن أين استدللت أنه خطأ؟

أحيانا كثيرة من إجاباتنا تكون؛ هو كذلك معروف؛ لماذا معروف؟!

---

[٥] [عن عروة بن الزبير:] قالت هندٌ لأبي سفيانَ: إني أريدُ أن أبايعَ محمدًا، قال: قد رأيتُك تكفي من هذا الحديثِ أمس. فقالت: إني واللهِ ما رأيتُ اللهَ عُبد حقَّ عبادتِه في هذا المسجدِ قبل الليلةِ، واللهِ إن باتوا إلا مصلين قيامًا وركوعًا وسجودًا. قال: فإنك قد فعلتِ فاذهبي برجلٍ من قومِك معك، قال: فذهبت إلى عثمانَ فذهب معها، فدخلت وهي منتقبةٌ، فقال: تبايعي على أن لا تشركي باللهِ شيئًا، ولا تسرقي، ولا تزني، فقلت: أوهل تزني الحرةُ؟ قال: ولا تقتلي ولدَك، فقالت: إنا ربيناهم صغارًا وقتلتهم كبارًا، قال: فتلهم اللهُ يا هندُ، فلما فرغ من الآيةِ بايعتْه قالت: يا رسولَ اللهِ إني بايعتُك على أن لا أسرقَ ولا أزني، وإن أبا سفيان رجلٌ بخيلٌ ولا يعطيني ما يكفيني إلا ما أخذتُ منه من غيرِ علمِه، قال: ما تقولُ يا أبا سفيان؟ فقال أبو سفيان: أما يابسًا فلا، وأما رطبًا فأحله، قال: فحدثتني عائشةُ أن رسولَ اللهِ ﷺ قال لها: خذي ما يكفيك وولدَك بالمعروفِ

ابن الملقن (ت ٧٥٠)، البدر المنير ٥٩٥/٨ • [فيه] يعقوب بن محمد الزهري ضعفه أبو زرعة وقال أحمد : ليس بشيء و[ فيه ] عبد الله بن محمد ابن عروة الظاهر أنه عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة وهو واه

وكما قلت لكم هذه أكبر إشكالية تواجه الإلحاد، يسمونه "السؤال الأخلاقي المواجه للإلحاد"، حتى الآن لا يجدون له إجابة، وما زالوا يفكّرون، تسأل الملحد مثلًا: لماذا الكذب خطأ؟ تسأله: هل الكذب أمر سيء أم جيد؟ يقول لك: سيء. حسنًا؛لماذا هو سيء؟ لنفرض أنَّ الكذب يحقّق لي مصلحتي، ونحن أصلًا حفنة حثالات متطوّرون، وليس هنالك حساب ولا أي شيء، فلماذا هو سيء؟

سيقول لك: أنت ستضرّني.

ألست إنسانًا عشوائيًا وستموت وتُلقى في القمامة؟! وليس هناك حساب؟ إذًا فالذي يقدر على شيء يفعله!

فيأتي الوحي الذي هو الفرقان، يفرِق، يجعل هناك شيئًا اسمه حق، وشيئًا اسمه باطل.

السؤال المتعلّق بالسورة هو: كيف نصِل في المجتمع إلى مرحلة الفرقان؟

سأعطيكم مثالًا كيف يفرّق الناس بين الحق والباطل، مثلًا هناك أناس تشاهد أحمد موسى، وبالطبع تعرفون أحمد موسى، هو ظاهرة تحتاج لدراسة.

هل تعلمون أن الناس الذين مثل هذا يُدرَسون فعلا! نعم تقوم عليهم دراسات، وهناك دراسات أجنبية قامت على شخص مثل توفيق عكاشة.

فعلًا هناك كتب تدرس الشخصية، كتاب أجنبي نزل مترجمًا، المؤلف أخذ سنتين يدرس ظاهرة توفيق عكاشة، وأخرج كتابًا فعلًا، دعونا من توفيق عكاشة فهو ظاهرة أصغر قليلًا، لا أذكر اسم الكتاب وكنت ذكرته في درس موجود على الساوند كلاود اسمه "إشكاليات بناء التفكير المنطقي" أو "كيفية التفكير المنطقي"

فأحدهم يشاهد توفيق عكاشة ويصدّقه، وكان عندنا أطباء وأساتذة يشاهدون توفيق عكاشة ويصدّقونه، فأنت تندهش جدًا، كيف وصلت لهذه المرحلة؟!

نحن نريد أن نصل إلى أن يكون الحق عندنا واضحًا هكذا كالشمس، هناك نهار وهناك ليل منفصلين عن بعضهما، كيف نكون في المجتمع كلنا نقول: نعم هذا حق، وهذا باطل.

أعطيكم مثالًا، هل تعرفون [الفرقان] جاء وصفًا لماذا أيضًا في القرآن غير القرآن؟ يوم الفرقان الذي هو معركة بدر؛ بدر كانت بين من ومن؟

كانت بين المسلمين والكفار، من قائد المسلمين؟ النبي -صلى الله عليه وسلم-، ومن قائد المشركين؟ أبو جهل.

فالأمور واضحة، هل هناك لبس هنا؟ هل من الممكن أن ينظر أحد من بعيد فيقول قد يكون هؤلاء على الحق؟!

لا، الأمور واضحة، هؤلاء ثلاث عشرة سنة وهم يُعذَّبون، وهاجروا وفرّوا بأنفسهم، والمعركة واضحة ليس فيها أي لبس، لذلك اسمها [الفرقان]؛ حق مقابل باطل محض.

أحيانا تحدث خلافات في المجتمع الذي نعيشه، خلافات سياسية، خلافات بين الأهالي، يتناقشون، وتجد أنَّك غير قادر على أن تشرح له أن هذا صحيح وهذا خطأ، لأننا لا نعيش حالة من الفرقان، وإنما نعيش حالة من اللَّبس والتداخل، تجده يقول : ما الذي يضمن لي أن هذا صواب؟ الشيوخ كلهم كذابون، وأصحاب السياسة هؤلاء كلهم مخادعون...إلخ، وتظل أنت تشرح له بمشقّة بالغة.

نحن كيف يمكن أن نصل في مجتمع إلى أن يكون الحق واضحًا، والباطل يكون واضحًا، منفصلان عن بعض، بحيث يستطيع الناس من بعيد التمييز بينهما.

قال ربنا في سورة الأنفال بعد يوم الفرقان: {لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ} (الأنفال: ٤٢)؛ سيموت على الباطل، مختارا للباطل، عالما به، {وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖ} (الأنفال: ٤٢) يكون مختارا عالما أنه على باطل محض.

فالسورة تقول لنا كيف نصل لهذا؛ كما قال ربنا -وعندما نتكلم عن شخصيات مثل أحمد موسى وتوفيق عكاشة- ربنا يقول: {وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ} (الأنعام: ٥٥) في سورة الأنعام، لتستبين سبيل المجرمين؛ من يعرف اللغة العربية (سبيل): اللام هنا مرفوعة أم منصوبة؟ مرفوعة، وهناك قراءة ثانية بالفتح، نحن قراءتنا حفص مضمومة، فعندما تكون الكلمة مرفوعة، هل هذا فاعل أم مفعول؟ فاعل.

كنتُ سابقًا عندما أقرأها أظن [لتستبينَ أنت سبيلَ المجرمين]؛ أي تتبيَّن أنت، أي (تستبين) هذه التاء مكان الألف، يأتي في المضارع الألف والسين والتاء في أول الكلمة تفيد شيئًا اسمه الطلب، مثلًا: استفهم أي طلب الفهم، الألف والسين والتاء تأتي في أول الكلمة أحيانا بمعنى أني أطلب شيئًا.

فأنا كنت أتوقع أن يقول ربنا للنبي –صلى الله عليه وسلم–: نفصّل لك الآيات حتى تتبيَّن أنت ويظهر لك سبيل المجرمين، أنت الذي ستكتشف طريقة المجرمين. لكن عندما تأتي بالضم ما معناها؟

أي: هي التي ستظهر وحدها؛ أي سبيل المجرمين هي التي ستظهر وتقول: هذا مجرم. متى؟! عندما عمرو أديب أو أحمد موسى أو أحد من هذه المجموعة يقول كلامًا، الناس كلها تعرف أنه في هذه اللحظة كذاب، هو الذي ينادي على نفسه، طريقته أظهرته.

ماذا قبلها؟ {وكذلك نُفَصِّلُ ٱلأيٰتِ} (الأنعام: ٥٥) عندما تُفصَّل الآيات وتتضَّح عند الناس، يقول ربنا في القرآن أن الذي يقول كذا يكون كذا، والذي يعمل كذا يكون كذا، فنحن نشرح هذه القاعدة عدة مرات للناس، شُرِحت ووضحت عند الناس ودون أي خلافات سياسية، نحن نشرح كلام ربنا أمام الناس، فالناس تميز: ربنا قال إن الذي يفعل هذا فوصفه كذا، وإن هذه أفعال المنافقين.

مثلا ربنا قال في القرآن إن الكارهين للشريعة والذين لا يريدون تطبيق الشريعة هؤلاء لهم وصف معيَّن، فيأتي أحد يقول: نحن لا نريد الشريعة!،إذًا هذه الآية تتحدَّث عنك، فعندما يحدث تفصيل للآيات تتضح الأمور.

كنت أريد أن أشرح علاقة الشعراء بالفرقان، لكن ليس لدينا وقت، فحتى لا أطيل عليكم،

من الكلمات المحوريَّة عندنا في السورة كلمة [تبارك] كم مرة جاءت في السورة؟

ثلاث مرات

{تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلفُرقَانَ عَلَىٰ عَبدِهِۦ لِيَكُونَ لِلعَٰلَمِينَ نَذِيرًا} (الفرقان: ١).

{تَبَارَكَ ٱلَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيرا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰت تَجرِي مِن تَحتِهَا ٱلأَنهَٰرُ وَيَجعَل لَّكَ قُصُورَا} (الفرقان: ١٠).

{تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَاءِ بُرُوجا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجا وَقَمَرا مُّنِيرا} (الفرقان: ٦١).

جميل جدا، نحن سننظر إلى الثلاث مواضع لـ[تبارك]، البركة أصلًا من معناها الثبات والظهور والاتساع، معنى الشيء المبارك أي شيء عندك فيه بركة في البيت، شيء ثابت لا ينتهي بسرعة، وظاهر، ويتَّسع، شيء مبارك مثل بئر زمزم هذا ماء مبارك ثابت لا ينتهي، يظهر ويتَّسع.

جميل، ربنا –سبحانه وتعالى– يقول: قدرته ظاهرة وواضحة وثابتة ودائمة –سبحانه وتعالى– للناس كلها، كيف يكون هذا الظهور؟

نحن ما زلنا نتكلم عن أننا نريد أن نصِل لحالة الفرقان، نحن نريد من المجتمع أن يصل لتصبح الأمور عندنا واضحة، ليس فيها لبس، فسورة الفرقان؛ الذي نحاول أن نخرج به اليوم من السورة هو: كيف نصل بالمجتمع إلى حالة من الوضوح؟

فنحن سنستعمل كلمة [تبارك]، وبالطبع بتدبُّر السورة كلها من الممكن أن نصل لحالة الفرقان، أية آية نستفيد منها في هذا، لكن لضيق الوقت، فسننظر إلى كلمة [تبارك] فقط.

أولًا: أن نبيّن للناس الوحي، نشرح لهم الوحي الذي هو القرآن، نبيّن لهم أنَّ هناك معايير للصحيح والخاطئ، وأن تحديد الصحيح والخاطئ ليس لي و لك، عندما نختلف أنا وأنت نرجع لكلام ربنا لأن الأمر ليس لنا.

وليس الصحيح بكثرة الاتباع {وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ} (الانعام: ١١٦)، والخاطئ ليس هو القليل، لا، هناك معايير للصحيح والخاطئ، من أين نأتي بها؟ نأتي بها من القرآن.

أسهل طريقة للوصول لحالة الفرقان بين الحق والباطل، هي الطريقة الثانية، ما هي هذه الطريقة الثانية؟ أن نبيًا من الأنبياء كان يأتي لقومه يقول لهم: هذا خطأ وهذا صواب، يقولون له: لا، نحن لا نصدق، ما الذي يدرينا أن هذا هو الصواب وهذا الخطأ؟ يقول لهم: هذا الصواب وهذا الخطأ، فلا يصدقون، فينزل عذاب يأخذ المكذّبين وينجو المؤمنون، هل اتضحت؟ يبين لهم الصواب و الخطأ... واضح ؟

ثم يأتي قوم آخرون ويُرسل لهم نبي، يقول: هذا خطأ وهذا صواب، فلا يصدقونه، هذا خطأ وهذا صواب، لا يصدقون، فما الذي يحدث؟ ينزل ربنا عذابًا فيموت هؤلاء.

فهذا الذي يمكن أن نسميه: نزول العذاب؛ أن ربنا –سبحانه وتعالى– بقدرته يبيّن للناس الصواب والخطأ بآية من السماء تنزل، تخيَّل لو أنَّ ربنا –سبحانه وتعالى– جعل الذي يتكلَّم مثلًا في التلفاز ويكذب على ربنا لسانه يُشل فورا، أو مثلا أي أحد يكذب تظهر نقطة سوداء على رأسه، فمثل هذه آيات، ربنا قادر على ذلك، ربنا يقول: {وَلَو نَشَاءُ لَأَرَينَٰكَهُم فَلَعَرَفتَهُم بِسِيمَٰهُم} (محمد: ٣٠).

بعض المفسّرين قال: ربنا يقول للنبي –صلى الله عليه وسلم– أنا كنت قادرًا أن أجعل علامات للمنافقين، فنمشي في الشارع ونعرف المنافق بعلامة واضحة، هذه آيات تنزل تُفرِق.

تخيَّل لو أن اثنين يتكلَّمان وأحدهم يقول: الصواب كذا، ويقول له الآخر: لا ليس صحيحًا، بل الصحيح كذا، فينزل العذاب على المخطئ، عندها المجتمع كلّه سيعرف الصحيح من الخطأ.

المؤمنون في مكة في وسط الاستضعاف كانوا متشوّفين أن يحدث هذا، كانوا يريدون آية من السماء تنزل، لذلك لما تقرأ سورة الشعراء ...في أولها سورة الشعراء، ربنا يقول: {إِن نَّشَأ نُنَزِّل عَلَيهِم مِّنَ ٱلسَّمَاءِ ءَايَة فَظَلَّت أَعنَٰقُهُم لَهَا خَٰضِعِينَ} (الشعراء: ٤).

فربنا يقول: أنا قادر أن يتم هذا الفرقان بآية، لذلك ربنا يقول في الطريقة الثانية من طرق الفرقان: {تَبَارَكَ ٱلَّذِي إِن شَاءَ} (الفرقان: ١٠)، لكن هذه ليست سنَّة ربنا، {إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيرا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰت} (الفرقان: ١٠) أي كان من الممكن أن يجعل ربنا آيات واضحة تؤكّد لهم أنك رسول، لأنهم يقولون: نحن لا نصدق أنك رسول، {مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمشِي فِي ٱلأَسوَاقِ} (الفرقان:٧)، فربنا يقول: أنا أستطيع أن أعطيهم آيات كلما طلبوا، "اجعل لنا الصفا ذهبًا"[٦] فيجعل الصفا ذهبًا ، طلبوا آية من السماء حسّية فربنا ينزل لهم آية من السماء حسيَّة.

لذلك عندنا في السورة: {فَدَمَّرنَٰهُم تَدمِيرا}، أولها: {وَلَقَد ءَاتَينَا مُوسَى ٱلكِتَٰبَ وَجَعَلنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرا (٣٥) فَقُلنَا ٱذهَبَا إِلَى ٱلقَومِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرنَٰهُم تَدمِيرا} (الفرقان: ٣٥-٣٦)، التدمير، بعدما تدمَّر يقولون: فرعون كان مخطئًا فعلا، نحن اكتشفنا أن فرعون كان مخطئًا!!!

[٦] [عن عبدالله بن عباس:] قالتْ قُرَيشٌ للنَّبيِّ ﷺ: ادْعُ لنا ربَّكَ يَجعَلْ لنا الصَّفا ذهبًا، فإنْ أَصبَحَ ذهبًا اتَّبَعْناكَ. فدعا ربَّهُ، فأتاهُ جِبريلُ عليه السَّلامُ، فقال: إنَّ ربَّكَ يُقْرِئُكَ السَّلامَ، ويقولُ لكَ: إنْ شِئْتَ أَصبَحَ لهُمُ الصَّفا ذهبًا؛ فمَن كَفَرَ منهُم عذَّبْتُه عذابًا لا أُعَذِّبُه أحدًا مِنَ العالَمينَ، وإنْ شِئْتَ فتَحْتُ لهُم بابَ التَّوبةِ والرَّحمةِ. قال: بل بابَ التَّوبةِ والرَّحمةِ.
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الترغيب ٣١٤٢ • صحيح

هل هذه الطريقة مستعملة في هذه الأمة؟ لا، لماذا؟ لأنها تكون وقت معيَّن وتنتهي، مثلًا بعض الصحابة كانوا يتشوّفون أن يحدث هذا، وذات مرة طلب المشركون من النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يجعل الصفا ذهبًا، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- دعا الله -عز وجل- أن يجعل الصفا ذهبًا، فأنزل الله -عز وجل- له جبريل وقال: إن شئت جعلت لهم الصفا ذهبًا، لكن لو لم يؤمنوا وقتها...الآية الحسّية يعقُبها عذاب[٧]، الآية الحسيَّة الواضحة يعقبها عذاب، {إِن نَّشَأ نُنَزِّل عَلَيهِم مِّنَ ٱلسَّمَاءِ ءَايَة فَظَلَّت أَعنَٰقُهُم لَهَا خَٰضِعِينَ} (الشعراء: ٤) الآية الحسية تجبرك إجبارًا على الإيمان، إما تجحد وإما تؤمن، لأنها تكون واضحة، مثل المائدة {إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيكُم} (المائدة: ١١٥)، المائدة نزلت من السماء، آية حسّية، الذي سيكفر بها {فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدا مِّنَ ٱلعَٰلَمِينَ} (المائدة: ١١٥).

فهذه الطريقة من الفرقان أغلبنا يريدها، يقول: "ألا يصاب فلان بالشلل وهو يتكلم؟! أو يحدث له شيء لكي يعلم الناس أنه مجرم، ويصاب بجلطة ويصبح عبرة.."، الناس دائما تريد العذاب الفوري، تقول له هذا مخطئ ومجرم، يقول لك: لا، لو كان مجرمًا لم يظل هكذا!

من قال لك هذه القاعدة؟ من قال إن سنَّت ربنا في الأفراد -وليست في الأمم -العقاب الفوري؟

الكثير من الناس ظَلَموا وماتوا موتة عادية، فقد يتصور الإنسان أن الملحد عندما يخرج في التلفاز ويطعن في القرآن والسنة بمجرَّد أن يعمل هذا ستنزل عليه صاعقة من السماء، لا؛ لأن سنة ربنا في الأفراد أنَّ الدنيا دار عمل والآخرة دار جزاء، فيؤجّل له الحساب.

فأغلب الناس يتمنى أن يحصل الفرقان بهذه الطريقة، طريقة سهلة، "أهلك الظالمين بالظالمين وأخرجنا منهم سالمين"، ونحن جالسون هكذا.

نأتي لنرى [تبارك] الثالثة {تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَاءِ بُرُوجا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجا وَقَمَرا مُّنِيرا (٦١) وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيلَ وَٱلنَّهَارَ خِلفَة لِّمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَو أَرَادَ شُكُورا (٦٢) وَعِبَادُ ٱلرَّحمَٰنِ} (الفرقان: ٦١-٦٢)، ما العلاقة بين في السماء بروجا وسراجا وقمرا منيرا، وبين وعباد الرحمن؟

أن هناك بروجًا وسراجًا وقمرًا في السماء منيرًا، هذه التي تنير السماء، وعباد الرحمن هم الذين يُنيرون الأرض، هؤلاء يُهتدى بهم في السماء لكيلا تضل، وهؤلاء يُهتدى بهم في الأرض.

[٧] سبق تخريجه

حسنًا، لماذا جاء معها [تبارك] أيضًا؟

نحن قلنا [تبارك] من سبل الوصول للفرقان؛ وجود طائفة في المجتمع بهذه الأخلاق مبنيَّة على الفرقان، هذا هو الذي يُنشئ الفرقان في المجتمع، لكن هذا مدى بعيد.

مثال: لماذا ترك النبي –صلى الله عليه وسلم– سيدنا عليًا في مكة وأخَّره في مكة وهاجر النبي –صلى الله عليه وسلم–[٨] ؟ لكي يرد الأمانات، هذه الأمانات يردَّها لمن؟ للمشركين.

والنبي –صلى الله عليه وسلم– جعل سيدنا عليًا ينام في فراشه لماذا؟ لأن المشركين كانوا يريدون أن يقتلوه، بمعنى أنهم كانوا يريدون قتله ومع ذلك يتركون عنده الأمانات! فهم يعلمون أنه هو الوحيد الذي يصلح لأنه هو الأمين، وفي نفس الوقت يعلمون أنه يهدّد مصالحهم، فهم يعلمون أنه على صواب ولكن هو يهدّد مصالحهم الشخصية فأرادوا قتله.

أنا أعرف أحدهم مثلًا يظل يسب بعض الملتزمين، ولكن عندما يحب أن يتعامل تعاملًا دنيويًا يقول أنا أتعامل مع فلان لأنه أمين، أما كنت تشتم فيه؟! يقول: هذا ماديًا سينصفني وما شابه، فعندما تجد المجتمع يطبّق الأخلاق الموجودة في {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ} (الفرقان: ٦٣) سيظهر الفرقان للناس حتى لو لم يتَّبعوه.

---

[٨] قَالَ ابن إسحاق: فَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ قَالَ: "لَمَّا اجْتَمَعُوا لَهُ، وَفِيهِمْ أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ، فَقَالَ وَهُمْ عَلَى بَابِهِ: إِنَّ مُحَمَّدًا يَزْعُمُ أَنَّكُمْ إِنْ تَابَعْتُمُوهُ عَلَى أَمْرِهِ، كُنْتُمْ مُلُوكَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، ثُمَّ بُعِثْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ، فَجُعِلَتْ لَكُمْ جِنَانٌ كَجِنَانِ الْأُرْدُنِّ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ لَهُ فِيكُمْ ذَبْحٌ، ثُمَّ بُعِثْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ، ثُمَّ جُعِلَتْ لَكُمْ نَارٌ تُحْرَقُونَ فِيهَا. قَالَ: وَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَأَخَذَ حَفْنَةً مِنْ تُرَابٍ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: "أَنَا أَقُولُ ذَلِكَ، أَنْتَ أَحَدُهُمْ". وَأَخَذَ اللهُ تَعَالَى عَلَى أَبْصَارِهِمْ عَنْهُ فَلاَ يَرَوْنَهُ، فَجَعَلَ يَنْثُرُ ذَلِكَ التُّرَابَ عَلَى رُءُوسِهِمْ وَهُوَ يَتْلُو هَؤُلاَءِ الآيَاتِ مِنْ يس:

{يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤) تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٥) لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (٦) لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧) إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (٨) وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ} [يس: ١-٩]، حَتَّى فَرَغَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ هَؤُلاَءِ الآيَاتِ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلاَّ وَقَدْ وَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تُرَابًا، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى حَيْثُ أَرَادَ أَنْ يَذْهَبَ.

فَأَتَاهُمْ آتٍ مِمَّنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ، فَقَالَ: مَا تَنْتَظِرُونَ هَاهُنَا؟ قَالُوا: مُحَمَّدًا. قَالَ: خَيَّبَكُمُ اللهُ! قَدْ وَاللهِ خَرَجَ عَلَيْكُمْ مُحَمَّدٌ، ثُمَّ مَا تَرَكَ مِنْكُمْ رَجُلاً إِلاَّ وَقَدْ وَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تُرَابًا، وَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ، أَفَمَا تَرَوْنَ مَا بِكُمْ؟ قَالَ: فَوَضَعَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ، فَإِذَا عَلَيْهِ تُرَابٌ، ثُمَّ جَعَلُوا يَتَطَلَّعُونَ فَيَرَوْنَ عَلِيًّا عَلَى الْفِرَاشِ مُتَسَجِّيًا[١] بِبُرْدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَيَقُولُونَ: وَاللهِ إِنَّ هَذَا لَمُحَمَّدٌ نَائِمًا، عَلَيْهِ بُرْدُهُ. فَلَمْ يَبْرَحُوا كَذَلِكَ حَتَّى أَصْبَحُوا، فَقَامَ عَلِيٌّ رضي الله عنه عَنِ الْفِرَاشِ فَقَالُوا: وَاللهِ لَقَدْ كَانَ صَدَقَنَا الَّذِي حَدَّثَنَا"

ابن هشام: السيرة النبوية ٤٨٣/١، والطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣٧٢/٢، ٣٧٣، وابن كثير: البداية والنهاية ٢١٦/٣، ٢١٧، وقال إبراهيم العلي: أخرجه ابن هشام في السيرة، وإسناده رجاله ثقات وهو مرسل حسن. انظر: العلي: صحيح السيرة النبوية ص١٢١.

انتبهوا أنَّ ظهور الفرقان في المجتمع ليس معناه أنَّ الناس ستسير وراء الحق، نحن قلنا إنَّ معركة الفرقان "بدر"، وكان المسلمون قلَّة، ولم يكن فيها لَبْس، فالناس تتصوَّر أنَّ ظهور الحق معناه أنَّ الناس تتبعه.

لا؛ هناك من هو جاحد، هو كافر جاحد، إبليس جاءه الأمر من ربنا ورفض، فأحيانا الناس تعتقد أن الذين يمشون وراء الباطل لضعف الحجة، لا، الحجة قد تكون واضحة جدًا ويمشون وراء الباطل أيضًا، هذا موجود، بالعكس هذا هو الأشهر {وَإِن تُطِع أَكثَرَ مَن فِي ٱلأَرضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ} (الأنعام : ١١٦).

أنا الآن أريد أن أساهم في أن أصِل بالمجتمع لهذه الحالة من النضوج والفرقان، أن هناك حقًا وهناك باطلًا، ماذا أفعل؟

أتعلَّم الفرقان، وأطبِّق الفرقان، إذا قمنا بهذين الأمرين فالمجتمع تدريجيا يصل لحالة أن يقول الناس: هذا حق، {يَبِيتُونَ لِرَبِّهِم سُجَّدا وَقِيَٰما} (الفرقان: ٦٤) ، ويتعاملون بهذه الأخلاق وعندهم توازن في التعامل المادي، { لَم يُسرِفُواْ وَلَم يَقتُرُواْ وَكَانَ بَينَ ذَٰلِكَ قَوَاما} (الفرقان: ٦٧) ، وعنده أخلاق {وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغوِ مَرُّواْ كِرَاما} (الفرقان: ٧٢)، وعنده خشوع وإخبات عندما تتلى عليه الآيات { لَم يَخِرُّواْ عَلَيهَا صُمّا وَعُميَانا} (الفرقان: ٧٣)، ولا يختلط بالمجتمع الذي فيه قتل وفساد وشرك وينعزل عنهم {إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلا صَٰلِحا} (الفرقان: ٧٠).

من الأمور التي ستأخذونها -إن شاء الله- آيات عباد الرحمن، ربنا -سبحانه وتعالى- عندما يقول في وصف عباد الرحمن {وَٱلَّذِينَ لَا يَدعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقتُلُونَ ٱلنَّفسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلحَقِّ وَلَا يَزنُونَ} (الفرقان: ٦٨)، هل هذه أوصاف مدح؟ هذه أوصاف عاديَّة، لكن متى يكون نفي الصفة السيئة صفة مدح؟

عندما يفعله كل الناس، مثلًا حين أقول لك إنَّ الرشوة من الكبائر، فتجد من يقول لك: أنا أعرف موظفًا في المرور لا يأخذ رشوة، فتتفاجأ، مع أن هذا هو الطبيعي ألا يأخذ رشوة، التي هي من الكبائر.

فعندما ينتشر خلق معيَّن في المجتمع، يقال لك أنا أعرف مثلًا تاجر سيارات لا يغش، حقًا؟! أين هو؟

أحيانًا يصبح من الطبيعي أنه لا يقوم بالمعصية، لكن عندما تنتشر المعصية جدا جدا في مجتمع وتجد إنسانًا محافظًا على الأخلاق فهذا يكون متميزًا، لا يوجد مثله.

أحياناً مثلاً تذهب للخارج في المجتمعات الغربية مثلا، ممكن مثلاً في بعض المجتمعات من كل عشرة آلاف امرأة تجد إحداهن منتقبة مثلاً، فهذا يكون ظاهرًا، الشخص هنا ظاهر في وسط المجتمع، أو مثلًا مجتمع الموظفين كله غيبة وتجد أحدًا معروفًا أنه يقرأ القرآن، ولا يأخذ رشوة، فعندما يمدحه الناس تكون من صفات المدح أنه لا يفعل الباطل.

لماذا؟ لأن الباطل له ضغطه، والباطل منتشر، وبالرغم من هذا هو ثابت، فمن معاني هذه الآية أنهم عاشوا في مجتمع مليء بالفساد وبالرغم من ذلك حافظوا على أنفسهم.

عندما يحافظ أشخاص على أخلاقهم، يحافظون على دينهم، يحافظون على عبادتهم، ويتعلَّمون الوحي؛ الناس تنظر إليهم وماذا يقولون؟

هذا هو الصحيح، حتى الذين يؤذونهم، نحن قلنا إن الذين أرادوا قتل النبي -صلى الله عليه وسلم- تركوا عنده الأمانات، هل أنتم تريدون أن تقتلوه لأنكم لستم واثقين به؟ لا، بل نحن واثقون به. هل هو يكذب؟ لا، لا يكذب، اسمه الصادق الأمين.

إذاً لماذا تقتلونه؟! فتكون إجابتهم: لا، هذا شيء آخر. نحن لدينا آلهتنا التي صنعناها لكي تجلب لنا الأموال ويأتي إلينا الناس من كل أنحاء الجزيرة العربية لكي تطوف حولها.

فلاحظوا أنه كان لكل قبيلة في جزيرة العرب صنمًا تصنعه وتأتي به إلى مكة بعد استئذانهم قبيلة قريش.

قام الدكتور أحمد عبدالمنعم يشرح على السبورة وقال:

هذه جزيرة العرب، ومكة هنا هذا هو البحر الأحمر، أي قبيلة في مكة تريد السفر في رحلة الشتاء إلى بلاد اليمن ورحلة الصيف إلى بلاد الشام فلا بد أن تعد العدة والعتاد والسلاح خشية قطاع الطرق، إلا قبيلة قريش تخرج بقوافلها آمنة لأن بينها وبين كل القبائل إلف وعهد بعدم التعرض إليها مقابل السماح لهم بوضع أصنامهم حول الكعبة وكان عددهم ثلاثمائة وستون صنمًا.

فاستغلوا الكعبة والبيت لمصالحهم الشخصية. فكيف بمن يأتي ويقول لهم: اهدموا هذه الأصنام كلها؟ فتخرب بذلك تجارتهم ومصالحهم الاقتصادية!..إذًا لا يؤمنون به خوفًا على مصالحهم الشخصية.

فعندما أساهم في أن أبين الحق وأن أقوم بعمل تغيير حقيقي في المجتمع، ماذا أفعل؟ أتعلم الفرقان وأحدد الحق والباطل بناءً على القرآن، فيجب أن نستعمل آيات القرآن عند مناقشة هذه القضية، ولا نشعر بحرج.

عندما يقول لك: هذا خطأ، تقول له: لا هذا صواب.

فيقول: هذا خطأ، فترد تقول: لا بل صواب فربنا يقول كذا وكذا.

نتعلم أن نستعمل آيات القرآن وأن ننزلها على الواقع لتطبيقها... الإشكال غالبا يحدث عند التطبيق، أننا أحيانا نعرف ولكن لا نطبق، فالله -سبحانه وتعالى- عندما أنزل القرآن لم ينزل كتابًا من السماء وفجأة نزل إلينا ورقًا يُوضع أمامنا لنقرؤه ونمضي.

الله -عز وجل- نزّل القرآن على قلب النبي -صلى الله عليه وسلم- ليكون واقعًا بيننا.

لذلك هم قالوا كلمة يقصدون أن تكون صفة ذم وهي في الحقيقة صفة مدح وتسببت هذه الكلمة في انتشار الدين {وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ} (الفرقان: ٧) فالرسول -صلى الله عليه وسلم- يعيش بين الناس ويطبق الدين.

وقال ربنا -عز وجل- هذه الكلمة أيضا في آخر السورة {وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا} (الفرقان: ٦٣) فهو شخص يعيش وسط المجتمع -سواء في الجامعة أو في العائلة أو بين الأقران- لكن مفاهيمه وتصوراته مصدرها الوحي وأخلاقه التي يطبقها من الوحي.

والناس حوله يعلمون أنه على الحق، حتى إن لم يتمكنوا من الوصول لحاله، وإن هاجموه، يعلمون أنه ليست له مآرب شخصية وأنه يدعو إلى الله -عز وجل- وأن سمت العبادة يظهر عليه، فمن هنا يصل المجتمع إلى مرحلة الفرقان.

أخيرًا قال الله -عز وجل: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا* يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا* لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي} (الفرقان: ٢٧-٢٩) ثم يقول {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا} (الفرقان: ٣٠)، إذًا صديقك الذي يبعدك

عن القرآن يجب أن تبتعد عنه لأن الرسول –صلى الله عليه وسلم– يشتكيك، {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا} (الفرقان: ٣٠)

والآية التي تليها: {وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا} (الفرقان: ٣١) وذلك يعني أن أكبر عدو للنبي –صلى الله عليه وسلم– هو الذي يبعد الناس عن القرآن، وأن هذه جريمة عظيمة {وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا} (الفرقان: ٣١)

وهكذا كانت وظيفة كل الأعداء أن يُبعدوا الناس عن الوحي، ومحاولة إبعاد الناس عن الوحي جريمة.

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ} (الفرقان: ٣٢) وتعني كلمة [كذلك] أي كذلك القرآن لم ينزل جملة واحدة ولكن نزل مفصلًا.

فكيف أستفيد من هذه الآية؟ يقول الله أن القرآن لم ينزل جملة واحدة لكن كان يحدث موقفًا، فينزل لهذا الموقف آيات حتى يثبت النبي –صلى الله عليه وسلم– فقد كان فؤاد النبي نفسه –وليس نحن– يحتاج إلى تثبيت بهذه الآيات وبالتالي يثبت الصحابة، فقد كان يحدث مواقف مُزلزِلة في مكة، يحتاج النبي –صلى الله عليه وسلم– للآيات.

وكذلك نحن في حياتنا يحدث لنا صدمات، فلن نثبت إلا إذا رجعنا للقرآن، ومع طول علاقتي بالقرآن يجعلني أعرف لأي سورة أرجع في كل موقف.

كما نقلب في الأسماء التي بهواتفنا وتزيد عن الربعمائة أو الخمسمائة اسم ونعرفها اسمًا اسمًا!.. فمثلا لو وجدت اسم "محمد إبراهيم" فأنا أعرف أننا عشنا سويًا سافرنا سويا وأكلنا وشربنا، وأعرف أني في مشكلة كذا سأكلمه، ومشكلة كذا أكلم فيها مثلا إسماعيل، وفلان لا أكلمه، وفلان يمكن أن يفيدني في أمر ما وآخر علاقتي معه ضعيفة.

فهناك من تسأله عن سورة سبأ، ما علاقتك بها؟ هل قضيت معها وقتًا؟ ما المعاني التي في سورة سبأ؟

إذا أصابتك أزمة أمنية، أزمة اقتصادية، أزمة في البيت، في المشاعر، أزمة كذا... ستعود إلى أي سورة؟ ما الآيات التي سترجع إليها حتى تثبتك؟ سورة إبراهيم ما علاقتك بها؟ سورة الرعد، سورة فاطر، سورة الأنعام؟؟

فيجب عليك كل فترة أن تُقيم علاقة مع سورة مثل سورة الفرقان الآن، كل فترة أنت تصاحب سورة من القرآن؛ (يؤتى بصاحب القرآن يوم القيامة...)[٩] أنت تقيم علاقة صحبة مع القرآن.

نكتفي بهذا القدر.

***سؤال: كيفية الجمع بين العلم الشرعي والقرآن وبين الدراسة؟**

تحتاج الإجابة عن هذا السؤال إلى درس كامل وأغلب الدروس ترفع على موقع الطريق إلى الله وقريبًا سينشأ موقع "إنه القرآن" وسيضم إن شاء الله كل السلاسل والدروس بحيث يسهل الوصول إليها.

*جزاك الله خيرًا...أنا مستمر في سلسلة تسمى إشكاليات،

فيوجد إشكاليات تواجه الفرد مثل إشكاليات البناء المعرفي، إشكاليات اختيار الثغر، في ماذا يمكنني أن أنفع؟

ويوجد درس قادم إن شاء الله اسمه "إشكالية الجمع بين الدين والدنيا"

[٩] [عن عبدالله بن عمرو:] يقالُ لِصاحِبِ القرآنِ: اقرأْ و ارْتَقِ، و رَتِّلْ كما كُنْتَ تُرَتِّلُ في الدنيا، فإنَّ مَنْزِلَتَكَ عندَ آخِرِ آيَةٍ [كُنْتَ] تَقْرَأُ بِها الألباني (ت ١٤٢٠)، السلسلة الصحيحة ٢٢٤٠ • قوي بالطرق • أخرجه أبو داود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٠٥٦)، وأحمد (٦٧٩٩) باختلاف يسير.